في رياض الأندلس

— ١ —

احتفالات المولد النبوية
في
الأشعار الأندلسية والمغربية والمهجرية

بقلم

الدكتور محسن جمال الدين

أستاذ الأدب الأندلسي

كلية الآداب - جامعة بغداد

الطبعة الأولى

١٩٦٧

مطبعة دار البصري - بغداد

في رياض الأندلس
— ١ —

احتفالات الموالد النبوية
في
الأشعار الأندلسية والمغربية والمهجرية

بقلم
الدكتور محسن جمال الدين
استاذ الادب الاندلسي
كلية الاداب - جامعة بغداد

الطبعة الأولى

١٩٦٧

مطبعة دار البصري - بغداد

الإهداء

الى باني أول جامع في الأندلس

الى أبي شجاع التابعي الجليل

حنش الصنعاني

أقدم هذه الدراسة .

(محسن)

مناجاة !!

رب ، الوجود ملكك ، والقدرة حكمك ، والقلوب خزائن محبتك راع والدى كما رعياني ، وانر ليالي الحياة لمن علموني ، واجعلني باراً بوطني ، محباً لعشيرتي ، نافعاً لعبادك ، مخلصاً لمن عدل ، ناصحاً لمن جار ، جريئاً بالحق على الباطل ، ناصراً للضعيف المظلوم على القوي الظالم ، وجمل اخلاقي بالصدق ، وهب لي شمائل الوفاء .

رب . لتكن محبتي لك على قدرك ، ولتكن اعمالي في رضاك ، واثبت الخير في الناس على يدي ، وخفف ويلاتهم بما تمنحني من معونتك .

رب . اياك اناجي ، واليك أسعى ، وعليك اتوكل ، وبك اهتدي لك حمدي ، وفيك ثنائي ، منك البداية ، واليك النهاية .

(ولي الدين يكن)

المقدمة

اخذت المعرفة الانسانية تشمل هذا الكون الصغير ، وتدعو الانسان وهو ابنها وتلميذها ان يعمل جاداً نشطاً في كشف الخفايا ، واظهار المكنونات وفي كل ساعة تنقضي من اعمارنا ، نحن الذين حملوا رسالة القلم ؛ ووعوا مسؤولية الكلمة . وحاسبوا أنفسهم قبل ان يحاسبهم الناس . في ان نبين للعالم بان في دين الرسول الاعظم (ص) وفي رسالته الخالدة ، ما يبعث على الاعتزاز ويدعو الى الاحترام والقدسية .

واذا كان من واجب الاستاذ المثقف ان يغرس اللفظة النافعة ، ويغذى المعنى الجديد في قلوب ابناء جيله . كي يحصد في نهاية عمره ، وفي أواخر حياته ، ما يرفع به الهامة ، ويزين به الصدر ، ويخلد له الذكر . فما اجدرنا ونحن الذين ضم تاريخهم العربي كل ما يشير الى العزة ، ويدعو الى الاجلال . ان نقول كما قال الشاعر « بدوى الجبل » .

نسب اعـز وذروة مضرية	نبت الربيع بها قنا ونصول
وعقيـدة وطنيـة عربيـة	فيها نصول على المدى ونطول
يامنكرى مجد العروبة حسبكم	منا فروع للعـلا وأصول

* * *

إن دراستي القصيرة هذه ، مستوحاة من عظمة النبي (ص) قد وضعتها في مناسبة كريمة ، استعرضت فيها ملامح الروح الاسلامية ، والشمائل العربية في ديار (الاندلس) و (المغرب) و (المهجر) . يوم مولد صاحب الرسالة الانسانية . والغريب ان ارتساماتها متباعدة الزمن ، ولـكنها قريبة العاطفة .

فالأندلس هي ابنـة الشرق ، والمغرب هو شقيقها وعونها وعضدها يوم انتصاراتها وخذلان اهلها . عاش افراحها ومآساتها ، بنفس متحمسة ، وبقلب حنون . وما ربطته بتلك الديار الا كلمة الحق ، ولغة القرآن .

ثم يأتي دور المهجر ، الذى ضمت دياره ابناء وفلذات من قلب الجزيرة العربية وهلالها الخصيب ، رفعوا راية اللغة الفصحى حماسة ، وقوة ، وحرارة وايمان ، منذ انطلق اجدادهم المناذرة والغساسنة ينشدون أشعار بطولات لخم وغسان ، وعظمة قريش وربيعة .

كان العراق والاندلس من البلدان العربية السباقة التي ساهمت في وضع اسس احتفالات المولد الكريم .

ومن المفاخر التاريخية التي يجب ان تعلن وتسجل لاهل الرافدين والاندلس هو قيام الامير العراقي « مظفر الدين كوكبوری » امير « إربل »(١) المتوفى سنة ٦٣٠ بوضع قواعـد الاحتفالات النبوية ودعوته لاحيائها في كل عام .

وفي « وفيات الاعيان » لابن خلكان ما يثبت هذا العمل الجليل .

كما ان أول من وضع دراسة عن هذه الاحتفالات هو الشاعر الكاتب والمؤرخ الاندلسي « ابن دحيـة » صاحب « المطرب » المتوفى سنة ٦٣٣هـ مؤلف « التنوير في مولد السراج المنير » (٢) .

* * *

اننا في مقدمتنا هذه ، لا نرغب ان نورد اسماء جميع الشعراء الذين نظموا في هذه المناسبة من اندلسيين ومشارقة . ولـكننا نشير الى بعض هؤلاء .

---

(١) راجع وفيات الاعيان ج ٣ ص ٢٧٢ ط ١ واعلام العرب رقم ٣٢ ص ٢٠٣

(٢) راجع الرسالة المستطرفة للكتاني ط٢ ـ ١٩٦٠ (الهند) ص ١٦٤ .

ويأتى الشاعر « محمد بن جابر » الهوارى الاندلسي الاعمى . الذى درسنا مخطوطته ونشرنا عدة مقالات عنه في مجلة « البلاغ » العراقية . (١) الذى خصص ديواناً كامـلا اسماه « نظم العقدين في مدح سيد الكونين » وكله في مدح النبى وآله وهو القائل :

ومن مدح القرآن اوصاف مجده　　　فان لسان الشعر عنه قصير

وكذلك الشاعر لسان الدين ابن الخطيب والقاضي عياض والرعيني والمقرى وابن دراج القسطلي .

ومن راجع هذا الباب يجده مشحوناً باسماء الكثيرين من هذه الطبقة . حتى ليجد في امداح الرسول وفي مناقب آله واسرته . الفيض المزدحم من القصائد والاشعار . وفي فهارس المخطوطات العربية في العالمين الشرقي والغربي وما اخرجته المطابع من دواوين للشعراء الصوفيه خاصة ما يجعلنا في غنى عن سرد اسمائهم وتعداد نظمهم .

وفي طليعة هذه النخبة الشيخ محيي الدين بن عربي الاندلسي . والشاعر البوصيرى في مصر .

اما عن المهجر فقد برزت محبة النبى عند شعراء المهجر الجنوبي خاصة ، بوضوح وحماس واندفاع وعلى رأس هؤلاء الأخ الكبير « الشاعر القروى » والشاعر العبقرى « ابو الفضل الوليد » (٢) والشاعر الثائر الياس فرحات ،

---

(١) مجلة (البلاغ) س/١ــ ١٩٦٦ــ١٩٦٧ .

(٢) ابو الفضل الوليد ــ الياس طعمة ــ شاعر لبناني مهجري . اعلن اسـلامه ونظم الروائع والملاحم في مدح العروبة وتاريخها والدفاع عن امجاد الاسلام . ولد ١٨٨٩ــ وتوفى ١٩٤١ اعددنا دراسة وافية عنه تكريماً لنبوغه واحتراماً لذكراه .

وغير هؤلاء . ممن تزخر بهم مصادر الدراسات المهجرية ، وصحفها ومجالسها وانديتها .

* * *

هذا وان كنت قد رضيت عن هذه الدراسة اليوم فقد لا ارضى عنها غداً ، لا لفكرتها العامة ، ولكن لما فيها من اختصار للموضوع وقلة في التبسط والشرح .

ولي ثقة ان يتسع صدر الايام امامي وتنبسط فسحة العمل في حياتي كي اعطي صاحب الرسالة النبوية ، ما يستحقه من اكرام واجلال وامنح مولده الشريف ما يحيطه ويصوره من قدسية وروعة ، وجمال وجلال .

مقدمة في دخول الاسلام

الى المغرب والاندلس

يتهيب الكاتب حينما يغمس يراعه ليخط به موضوعاً دقيقاً له جوانب من عظمة الرسول « ص » ومداه الكريم . فتراه اشبه بانسان له بعض الخبرة في فن السباحة ألقي في بحر خضم غزير .

ترى ماذا يستطيع ان يعمل لكي يصل الى مرفأ السلامة . وفنار الأمان ، وساحل الاستقرار ؟؟ انه يتطلع يمنة ويسرة رافعاً نظره الى السماء عله يجد في أديمها نجماً يهتدى بنوره ، أو ينظر الى الافق عساه يشاهد سفيناً قادماً يأخذ بيده ، ويبحث عن لوح سابح في الامواج لكي يستقر عليه .

وهكذا تراني أشبه ذلك الانسان . يوم ان رحت أبحث عن موضوع اصوغه لدراسة ملامح المولد النبوى الشريف في بلاد الاندلس والمغرب . المصادر اشتات متنوعة ، والاخبار متباعدة متناثرة . لا يجمعها سلك ، ولا يضمها مستودع . هى أشبه بزهرات جميلة عبقة ، قد زرعت هنا وهناك . ونبتت في قمم ووديان ، وتلال وسهول ! ! ولكى تؤلف منها باقة تسر القلوب والاعين ، وتريح النفوس والافكار ، فعليك اذن بضم متفرقاتها ، وجمع شتاتها .

وهكذا رجعت الى ما عندى من ذخيرة وزاد ، ومن قوة وهمة . لكى أجمع باقة من سهول الاندلس ، ومن جبال المغرب . كى أقدمها الى الرسول العربي ، والنبى الاعظم محمد رسول الله « ص » في عيد مولده الطاهر ! ! الذى وصف عظمته الكاتب الامريكى المؤرخ « واشنطن ارفنج » بقوله (١)

---

(١) واشنطن ارفنج ـ كاتب ـ ومؤرخ امريكى . ولد في نيويورك عام ١٧٨٣ ـ وتوفى =

« كان الرسول عادلا ، فكان يعامل الاصدقاء ، والغرباء ، الاغنياء والفقراء ، الاقوياء والضعفاء على قدم المساواة . وكانت عامة الناس تحب الرسول اذ كان يحسن استقبالهم ويستمع الى شكاواهم » .

. . « وكان الرسول حسن الطباع ، حليماً ، رحيماً ، صبورا » .

. . « كان الرسول في كل تصرفاته ناكراً ذاته ، رحيماً ، بعيداً عن التفكير ، في الثراء او المصالح المادية ، فقد ضحى بالماديات في سبيل الروحانيات . وكانت الصلاة وهي احدى أركان الاسلام ، تؤدي الى صفاء الروح . وكانت ثقة محمد هي التي تجعله يصمد أمام المحن والخطوب ، فكان يتوجه بكل آماله الى الله طالباً منه رحمته » (١) .

« كان محمد طموحاً وعلى جانب كبير من الذكاء وسعة الافق والرحمة . »

« لقي الرسول من أجل نشر الاسلام كثيراً من العناء وبذل عدة تضحيات . »

« وتخلى الرسول عن كل متع الحياة وعن السعي وراء الثراء من اجل نشر العقيدة » (٢) .

ولقد اخترت هذه النماذج عن شخصية النبي العربي « ص » من هذا الكاتب بالذات ، نظراً لكونه من الكتاب الذين اعطونا جانباً مستحباً ، وانطباعاً حسناً عن الرسول ، ومن جهة ثانية لعلاقة دراساته عن الاندلس ، واهتمامه بتراث العرب وآثارهم في تلك البلاد .

* * *

= بامريكا سنة ١٨٥٩ له دراسات عن العرب في الاندلس . ومنها (قصص الحمراء) . . وضع كتاباً عن (حياة محمد) ترجمة الدكتور خربوطلي ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٠ . ـ راجع ص ٢٩٩ وما بعدها . .

(١) حياة محمد . واشنطن ارفنج ص ٢٩٩

(٢) المصدر نفسه .

لو استعرضنا تاريخ افتتاح المغرب لرأينا ان المحاولات الاولى جرت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب « رض » وعثمان بن عفان « رض » وازددت قوة في عهد معاوية بن ابي سفيان .

وكانت همة القادة المسلمين ، واشهرهم « عقبة بن نافع الفهري » . الذي غزا افريقية في عشرة آلاف من المسلمين [1] فافتتحها واختط قيروانها ، وكان ابن نافع رجلا صالحاً مستجاب الدعوة . . وصلت سنابك خيوله المحيط الاطلسي « بحر الظلمات » وعلى شاطئه وقف على صهوة جواده وقفته المشهورة ، وقال كلمته المأثورة « اللهم رب محمد ، لولا اني لا اعلم وراء البحر يابسة لاقتحمت هذا الهول المائج لانشر اسم مجدك العظيم في اقصى حدود الدنيا » [2] .

ثم تتابعت الغزوات التي أتمها القائد العراقي الاصل « موسى بن نصير » من أبناء الرافدين ومن مدينة « عين التمر » في زمن الخليفة الاموي الوليد بن عبدالملك عام ٨٩ هـ . حيث استطاع الوصول الى السدس الاقصى [3] وجعل مولاه « طارق بن زياد » قائداً عليها ثم رجع الى القيروان [4] .

وقد اشار الدكتور حسين مؤنس في « فجر الاندلس » عن الشمال الافريقي وافتتاحه قوله :ـ

« لم يدخل الشمال الافريقي في حوزة الاسلام بحرب واحدة ، بل لسلسلة من الحروب استمرت حوالى سبعين سنة ، متوالية ، بدأت ببعث استطلاعي قام به عقبة بن نافع في ذي القعدة ٢١ هـ ـ ٦٤٢ م وانتهت بحملة موسى بن نصير

---

(١) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٢٣٦ ط ١ ـ مصر ١٣١٩

(٢) المراكشي ـ المعجب ـ ط ١ ص ٦ الهامش ـ ١٣٦٨ هـ

(٣) راجع عن نسب موسى وأصله (الواقدي) في فتوح البلدان ص ٢٣٨ ط ١ .

(٤) البلاذري ص ٢٣٨

(٥) مؤنس ـ فجر الاندلس ـ ص ٣٤ ط ١ ـ ١٩٥٩

المرفقة التي أخضع فيها المغرب الاقصى عام ٩٠ هـ ـ ٧٠٨ م وقد لقي فيها العرب من الجهد والخسائر ما لم يلقوا مثله في شمال الهند نفسه . »

ونحن نجد ان فتح المغرب قد صاحبه دخول كثير من أصحاب رسول الله «ص» من المهاجرين الاولين ، كما دخل الاندلس جماعة من التابعين له (١).

وقد عقد صاحب « المعجب » فصلا عن فضل المغرب والاندلس قوله :

« قال . . حدثنا عن سعد بن ابي وقاص ان رسول الله «ص» قال « لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة » .

ومن فضل الاندلس ، انه لم يذكر قط أحد على منابرها من السلف الا بخير » (٢) ويشير الدكتور شكرى فيصل في كتابه (٣) عن العلاقات بين العرب والمسلمين والبربر عند الفتح قوله « . . اسلم بعضهم منذ الايام الاولى وبقى على اسلامه ، وارتد بعض عن هـذا الاسـلام ، واسهم فريق في حركة الفتح ، وتأخر فريق عنها ، وقاومها فريق ثالث . وآلت بعض المدن الاسلامية تذود عن المسلمين وتحميهم حروب البربر من قومهم . « ومهما يكن من شيء فقد لقي المسلمون في فتح المغرب ما لم يلقوا في بلد آخر .

لقوا ذلك من أنفسهم في فتنة الخلافة ، واضطراب الاطراف ، وخصومات القواد ، وتوزع الجهود التي كان الزمن يبتلعها ولقوا ذلك من اعدائهم ، روماً كانوا أم كانوا سكان مدن أم قبائل البربر ، وتناوب الاخلاص لهم ، والمكر بهم هؤلاء جميعاً . وكانت يقظـة بيزنطية او غفلتها تبعث اليقظة او الغفلة في موقف هذه الطبقات . » (٤)

* * *

---

(١) البيان المغرب ـ لابن عذارى ج١ ص١ ط.بيروت

(٢) المعجب ـ لمراكشي ص ١٥ ـ ويشير الى ما دلت عليه الحالة من المنازعات في المشرق .

(٣) فيصل ـ حركات الفتح الاسلامي في القرون الاولى ص ١٤٠ ط١ـ١٩٥٢

(٤) فيصل ـ حركات الفتح الاسلامي ص ١٤٠ وما بعدها .

ب ـ اهم الشخصيات الاسلامية التي دخلت المغرب والاندلس

من الصحابة والتابعين

ان تاريخ المغرب والاندلس حافل بسجله الرائع ، بوفرة من الشخصيات الاسلامية التي دخلت القطرين ، واسست لها حضارة ومجد هناك .

وفي الآثار التاريخية الباقية لدينا من مخطوطات مختفية نائمة على رفوفها ، الى كتب مطبوعة متحركة متداولة ، بين ايدى الناس نجد فصولا وقوائم مسهبة عن الرواد الطيبين المخلصين من الاوائل الذين احبوا الموت ، كما احبوا الحياة ، ونشروا عقيدتهم الدينية ، بحرارة ورغبة وصدق وتضحية واخلاص . وكانت روح النبي محمد «ص» تتراآى في نواظرهم ، وفي نومهم ويقظتهم .

قال صاحب « النفح » عن يوم افتتاح الاندلس عام ٩٢ هـ بقيادة طارق ابن زياد قوله « . . ذكر عن طارق انه كان نائماً في المركب فرأى النبي « ص » والخلفاء الاربعة «رض» يمشون على الماء حتى مروا به ، فبشره النبي بالفتح ، وامره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد » (١)

أما الذين وطأت اقدامهم المغرب من اوائل المسلمين . فهناك طائفة كبيرة منهم :

١ ـ عبدالله بن الزبير

٢ ـ عبدالرحمن بن ابي بكر الصديق

٣ ـ عبدالله بن العاص

٤ ـ الحارث بن الحكم

٥ ـ عبدالله بن ابي سرح العامري

٦ ـ معاوية بن حديج الكندي

---

(١) المقري ـ نفح الطيب ط١ ـ ١٩٤٩ ص ٢٣٩ ج ١

٧ ـ عقبة بن نافع الفهرى

٨ ـ زهير بن قيس البلوى

٩ ـ حسان بن النعمان الازدى

١٠ـ موسى بن نصير اللخمى (١)

وغير هذه الطبقة من الاوائل العاملين في خدمة العرب والمسلمين ـ ممن يذكرهم ابن عذاري في « بيانه » وابن الاثير في « كامله » والبلاذري في « فتوحاته » . وكلما نزلوا داراً ، واختطوا مدينة ، بنوا جامعاً . فعقبة بن نافع بنى (القيروان) ومسجدها الشامخ عام ٥١ هـ . كما بنى عبدالله بن الحبحاب المسجد الجامع بتونس عام ١١٦ هـ (٢) وبنى طارق بن زياد مسجد اغمات هيلانة في شمال افريقية عام ٨٥ هـ قبل افتتاح الاندلس . وفي هذا العام تم اسلام أهل المغرب الاقصى وشيدت فيه المساجد ، وأقيمت المنابر والقبلة الاسلامية (٣) . »

أما الشخصيات التي دخلت الاندلس من المسلمين الاوائل ، ومن الصحابة والتابعين ، منهم :

١ ـ المنيذر اليماني الصحابي (٤)

٢ ـ موسى بن نصير

٣ ـ حنش الصنعاني

٤ ـ علي بن رباح اللخمي

٥ ـ عبدالله بن يزيد المعافري

---

(١) ابن عذاري ـ البيان المغرب ج ١ ص ١٤

(٢) ابن عذاري ـ البيان المغرب ج ١ ص ٥١

(٣) ابن عذاري المراكشي ـ البيان ج ١ ص ٢٧

(٤) ابن عذاري المراكشي ـ ج ١ ص ٣٧ وما بعدها .

٦ ـ حبان بن ابي جبلة القرشي

٧ ـ المغيرة بن ابي بردة العذري

٨ ـ عبدالرحمن بن عبدالله الغافقي

٩ ـ حيوة بن رجاء التميمي

١٠ـ محمد بن أوس الانصاري

١١ـ عياض بن عقبة الفهري

١٢ـ عبدالله بن المغيرة الكناني

١٣ـ عبدالجبار بن عوف الزهري (١)

بالاضافة الى القائدين البربريين الاسلاميين طارق بن زياد الفزاري، وطريف بن زرعة. وتتضارب الروايات عن عدد الداخلين الى الاندلس من التابعين فقد عددهم (بن حبيب في تاريخه) عشرين رجلا . وابن بشكوال ثمانية وعشرين رجلا .

وهم الذين اسسوا قبلة المسجد الجامع « بقرطبة » . كما شيد (حنش الصنعاني) جامع « سرقسطه » . وعدل وزن قبلة « جامع قرطبة » الذي هو فخر الاندلس . (٢)

* * *

اهتمام العلماء والامراء والخلفاء

في ميلاد الرسول الاعظم (ص)

كانت المذاهب الاسلامية قد دخلت شمال افريقيا والاندلس . وظلت تتصارع بآرائها وافكار دعاتها ، لها أنصار واتباع ، ولها خصوم ومناوئين .

---

(١) راجع نفح الطيب ج ٤ ص ٤ وما بعدها .

(٢) نفح الطيب ج ١ ص ٢٦٠ـ٢٦٠ « وتترجم بعض هذه الشخصيات الاسلامية في الاندلس » في كتابنا [العلاقات الثقافية بين الاندلس والبلاد العربية] . « محسن »

واستطاعت افواج الطلبة القاصدين الى المشرق والديار المقدسة ان يتلقوا الدروس العربية والدينية والادبية . ويكون ما حصلوه خميرة علمية ، يبحثون في بنائها ، ودعامتها ، وقيامها في بلادهم ، مع المدافعـــة عنها ، والدعاية لها بقوة واندفاع ! !

ومن أشهر الشخصيات العلمية في شمال أفريقية التي حثت الناس على الورع والتقوى والدعوة الى التعاليم الاسلامية وقدسيتها والتعلق برسولها (ص) . هم :

١ـ علي بن زياد التونسي :

الذي قال عنه (سحنون) « ما انجبت افريقية مثل علي بن زياد . لم يكن في عصره أفقـه منه ولا أورع ـ كان من الطبقة الاولى من أصحاب الامام مالك (رض) سمع منه ومن مالك بن سعد ، والثوري . وكان استاذاً لسحنون . كان أهل القيروان اذا اختلفوا في مسألة كتبوا بها اليه ليعلمهم الصواب . كانت وفاته « ره » عام ١٨٣ هـ (١) .

٢ـ « سحنون » عبدالسلام بن سعيد التنوخي

انتهت اليه رياسة العلم في المغرب . كان زاهداً لا يهاب سلطاناً في حق يقوله كانت ولادته في القيروان . وهو من مشاهير العلماء فيها . وضع « المدونة » في مذهب الامام مالك . وقد تلقى عنه العلوم جماعـة من المغرب والاندلس . توفي سنة ٢٤٠ هـ (٢) وبواسطته انتشر المذهب المالـكي في شمـال افريقية .

٣ـ عياض بن موسى اليحصبي :

قاضي المغرب ، وحافظه الاكبر ، الامام الطائر الصيت ، عياض السبتي .

«١» راجع الديباج المذهب في علماء المذهب ـ ابن فرحون ص ١٩٢ ط ١٣٥١ هـ

«٢» الاعلام ـ الزركلي ط ٢ ص ١٢٩ ـ ج ٤

العـالم الحجة ، في الفقه . والعلوم الدينية ، من تصانيفه « الشفاء » في حقوق المصطفى ، ومشارق الانوار ، وقد وضع عنه « المقري » كتاباً خاصاً اسماه ازهار الرياض في اخبار عياض بعدة مجلدات توفى سنة ٥٤٤ هـ بمراكش . (١)

* * *

كانت لرجال الدين السلطة الاولى ، في قيام الشعائر الاسلامية ، والدعوة الى مناهج اعمالها وصلواتها وتعاليمها . لذا نجد ان الامراء والخلفاء والسلاطين في المغرب والاندلس . لا تبقى لهم سلطـة ، ولا احترام في نظر الشعب ، ما لم يسمعوا لـكلمة القضاء ، ويسيروا لخدمة العلماء . من علماء الدين .

قال الدكتور مؤنس في « فجر الاندلس » : (٢) « كانت للقضاء أهميـة خاصة في الاندلس ، وربما لم يبلغ القضاء في بلد من بلاد الاسلام ، ما بلغوه من علو المكانة ووفرة السلطان ، وبعـد الجاه في الاندلس ، والمغرب ، حتى الف الخشني « قضاة قرطبة » (٣) والنباهى « قضاة الاندلس » (٤) .

وذكر المستشرق الـكبير « بروفنسال » في بحثـه عن « تراث الاندلس » قوله :

« فما ان اعتنقت اسبانيا الاسلام حتى جاهرت بانها محافظة ، وظلت بعد ذلك مرتبطة من ناحية السنة والشرع ، . . وشاع المذهب المالـكي في جميع انحاء الاندلس حتى النهاية . واهتم بنشاط لا يعتوره وهن بقمع كل محاولة ترمي الى نشر التيارات الجديدة ، واضطهد الزندقة واحتفظ للبـلاد بتعلقها باهداب الدين . » (٥)

«١» ازهار الرياض ــ المقري ــ ط ١ ج ١ ــ ١٩٣٩

«٢» مؤنس ــ فجر الاندلس ــ ص ٦٣٩

«٣» نشره خوليان ريبرا ــ مدريد ــ ١٩١٤

«٤» نشره ليفي بروفنسال ــ مصر ــ ١٩٤٨

«٥» الكاتب المصري مجلد ــ ٤ ١٩٤٦ ص ٦١١

وكان أول الداعين والحاملين (لموطأ) الامام مالك (رض) ثلاثة من رجال الاندلس وشيوخها المعروفين، والذين على أيديهم أصبح المذهب المالكي مذهباً رسمياً للاندلس وقضى على مذهب الامام الاوزاعي (ره) فيها وهؤلاء هم :

١ـ زياد بن قيس

٢ـ زياد بن عبدالرحمن

٣ـ يحيي بن يحيي الليثي (١)

ومن جراء ذلك ان اقيمت الشعائر الاسلامية، وعوقب كل من يخالفها حتى من الاسرة الحاكمة نفسها. وفي (تاريخ قضاة قرطبة) حوادث ومجالس قضائية مفصلة وطريفة. ذلك لان المجتمع الاندلسي والمغربي، كانت به أجناس مختلفة من بربر، وموال، ومولدين، واسبان، ومستعربين وروم، وصقالبة. ومن أديان مختلفة كالنصارى واليهود. ومن طوائف متباينة. وهذا يقتضي قوة التمسك بالامور الدينية، والنواحي الاجتماعية. التي تخص المسلمين. فلا تمر مناسبة من مناسبات الاعياد، أو الذهاب الى الحج، والعودة منه. وشهر الصيام، وذكرى الهجرة، ويوم عاشوراء. الا وتلمس ذلك واضحاً في أحوالهم الدينية وفي مجالسهم العلمية، والادبية، بين قصور ملوكهم، وفي دور امرائهم، أو في أحياء وحارات طبقاتهم الشعبية.

بالاضافة الى روح التسامح الاسلامي نحو الاديان الاخرى. في الاندلس والمغرب نجد ذلك في الآثار الشعرية، والادبية، التي يذكرها صاحبا (النفح) و (الذخيرة) (٢)

---

(١) فجر الاندلس ـ مؤنس ص ٦٥٤

(٢) في طيات « نفح الطيب » للمقري ـ و « الذخيرة » لابن بسام نماذج طيبة رائعة من شعر الاندلس. في مناسبات « عيد الفصح » و « عيد الميلاد » وهذا مما يدل على التسامح الاسلامي.

ومن الاسباب المهمة التي جعلت الاندلسيين والمغاربة، يتمسكون بمذهب الامام مالك . هو استقلالهم الفكري عن (العراق) وسياسته وفي حادثة (المنصور) مع الامام مالك، ودعاية الاندلسيين لمذهبه في بلادهم، ودعوة الخلفاء الامويين في الاندلس الترحيب به، ما يدلنا على ان للسياسة عاملا مهما في نشر الدعوة المالكية، مخالفة للعباسيين، وتباعداً عنهم. لقد كانوا لا يولون القضاء الا من كان مالكياً، بالرغم من وجود المذهب الظاهري، وشخصية «ابن حزم المعروفة»، ومذهب الاعتزال ودعوة «ابن مسره» له بعد ان نقله من البصرة الى قرطبة.

وقد برعوا في كتابة الحديث، والتفسير، والفقه. والتأليف فيه. ومن مشاهير رجالهم في الحقول الدينية، (بقي بن مخلد) الذي زار المشرق. وروى عن مائتين واربعة وثمانين (٢٨٤) عالماً. و (عثمان بن سعيد الداني) صنف مائة وعشرين (١٢٠) كتاباً و (الشاطبي) صاحب «حرز الاماني وعقيلة اتراب الفضائل» (١) و (ابن عبدالبر) صاحب «التمهيد» و «الاستيعاب» ومن الشخصيات المفسرة للقرآن الكريم (٢) «عبدالرحمن بن بقي بن مخلد» و «الحافظ عبدالحق بن عطية الغرناطي» و «محمد بن فرح القرطبي» و «منذر ابن سعيد البلوطي» و «ابو بكر بن العربي» وتفسيره يبلغ ثمانين (٨٠) مجلداً.

ومما ذكره الاستاذ الكريم «أحمد مظهر العظمة» عن علماء الاندلس قوله (٣) «فعلماء الاندلس في مقدمة من اخلصوا التفسير من اخبار وهمية. ذكر صاحب «الفكر الاندلسي» بلانثيا قوله :

«ولقد اتبع أهل الاندلس مذهب مالك من بين هذه المذاهب كلها.

(١) لطفي عبدالبديع ـ الاسلام في اسبانيا.

(٢) أحمد مظهر ـ الاسلام ونهضة الاندلس ـ ١٩٥٩ ص ٢٣

(٣) احمد مظهر العظمة ـ المصدر نفسه ص ٢٤

وقد قامت في رحاب المذهب المالكي ثلاث مدارس يختلف بعضها عن بعض اختلافاً يسيراً .

مدرسة (سحنون) بن سعيد صاحب (المدونة) ومركزها (القيروان) .

ومدرسة (قرطبة) .

ومدرسة المالكيين العراقيين . ولم يتبع أحد من أهل الاندلس هذه المدرسة الاخيرة (١) تلك هي الحالة الدينية التي كانت عليها الاندلس . وكان عليها المغرب ، منذ ان نشأ فيها مذهب مالك ، وتبلورت أفكاره ، ووضعت عنه المؤلفات ، وسافر أصحابه ودعاته الى المشرق ينهلون من معارفه . منذ عهد الامارة الاولى ، وحكم الامويين ، حتى عصر الطوائف ، وما رافقه من حكم المرابطين والموحدين ، الى ان خرجت الاندلس من أيدي العرب . .

د ـ الشخصيات الاندلسية والمغربية التي زارت المشرق

أو دخلت الاماكن المقدسة

لا نستطيع ان نحصي عدد الراحلين الى المشرق من بلاد المغرب والاندلس(٢) فقد وضع لنا «المقري» قائمة طويلة ، واثبت لنا «ابن بشكوال» و «ابن الابار» و «ابن الفرضي» و «الحميدي» قوائم متعددة باسماء من زار بعضهم ، ودخلوا الاماكن المقدسة ـ مكة ، والمدينة ، والقدس وجاوروا هناك ، ودرسوا ، ودرّسوا ، والفوا ، وكتبوا ، ونظموا ، وتزوجوا ، وانجبوا . او عادوا الى بلادهم بعد حجهم وزيارتهم . حتى ان بعضهم قد غامروا فوصلوا الصين ، والشرق الاقصى .

---

(١) الفكر الاندلسي ـ ترجمة مؤنس ـ ص ١٥ ؛ ط ١ ـ ١٩٥٥

(٢) في كتابنا «العلاقات الثقافية ، بين الاندلس والبلاد العربية» دراسة عن هذه الشخصيات . «محسن»

وفي كتاب « ابن فرحون » نجد تراجم طائفة ، من القضاة ، والشيوخ ، والعلماء والافاضل ، من المغاربة والاندلسيين . وجاراه صاحب « نيل الابتهاج » بهذا الموضوع . وبلغت درجة بعضهم العلمية انه افتى في المدينة المنورة . وهو (ابو عبدالله محمد بن عمر الفخار القرطبي الحافظ) حيث قال « لقد شورت بمدينة الرسول (ص) دار مالك بن انس . مكان شوراه – وافتخر بذلك على اصحابه ، يحفظ المدونة والنوادر لابن ابي زيد ، ويوردها من صدره دون كتاب » (١) .

ومن جملة اولئك العلماء الاندلسيين والمغاربة ، الذين مدحوا الرسول الكريم (ص) والذين سنورد من اشعارهم جماعة منهم :

١ـ ابو بكر محمد بن ابي عامر الغافقي

٢ـ ابو عبدالله محمد بن علي الاندلسي الغرناطي

٣ـ الشيخ الاكبر محيي الدين بن عربي

٤ـ لسان الدين بن الخطيب

٥ـ الشيخ أحمد المقري التلمساني

٦ـ القاضي عياض

٧ـ يحيى بن خلدون

٨ـ محمد بن جبير الاندلسي

هـ ـ وصف الاحتفالات النبوية في البلاد المغربية والاندلسية

كانت الاندلس شأنها شأن البلاد الاسلامية الاخرى تتسابق لاقامة المواليد النبوية ، في كل قرية ، وكل ناحية . فنحن نجد ان القرى الاندلسية بالاضافة الى مدنها العامرة ، تزخر بالمساجد والجوامع ، وقل ان تجد فيها من

(١) نفح الطيب ـ المقري ـ ج ٢ ص ٢٦٦

لا يقوم لشعائر الدين الحنيف . لان يد السلطة الدينية ، وولاية الحكام كانت تشدد على الخارجين والمستهترين . نظراً لحفاظهم على قدسية الدين وشعائره ، لوجودهم في تلك الديار التي تحيطهم بها بلاد « الفرنجة » ، ولتعدد الاجناس والطوائف في مجتمعاتهم . قال صاحب النفح « واما قواعد أهل الاندلس في ديانتهم فانها تختلف بحسب الاوقات والنظر الى السلاطين ، ولكن الاغلب عندهم اقامة الحدود ، وانكار التهاون بتعطيلها ، وقيام العامة في ذلك وانكاره ان تهاون فيه اصحاب السلطان ، وقد يلج السلطان في شيء من ذلك ولا ينكر ، فيدخلون عليه قصره المشيد ولا يعبئون بخيله ورجاله حتى يخرجون من بلدهم ، وهذا كثير في اخبارهم ، واما الرجم بالحجر للقضاة والولاة للاعمال اذا لم يعدلوا فكل يوم »(١) حتى قال (الرئيس بن الجياب) مفتخراً بقوله عن الاندلسيين :

ابى الله الا ان تكون اليد العليا
لاندلس من غير شرط ولا ثنيا
. . فما عدمت أهل البلاغة والحجا
يقيمون فيها الرسم للدين والدنيا
اذا خطبوا قاموا بكل بليغة
تجلي القلوب الغلق والاعين العميا
واذا شعروا جاءوا بكل غريبة
تخال النجوم النيرات لها حليا (٢)

وأثبت لنا العلامة « المقري » في أزهار رياضه ، وفي نفح طيبه ، وصفاً لاحتفالات المولد النبوي الشريف نقلا عن كتابي (راح الارواح ـ ونظم الدر والعقيان) للحافظ سيدي (أبي عبدالله التنسي) قال : ـ « وكان السلطان

(١) نفح الطيب ـ المقري ـ ج ١ ص ٢٠٤
(٢) ازهار الرياض ـ للمقري ج ١ ـ ص ١١٥

أبو حمو موسى بن يوسف الزياني في تلمسان . خــلال القرن الثامن الهجري . يحتفل ليلة مولد رسول الله ﷺ غاية الاحتفال ، كما كان ملوك المغرب والاندلس في ذلك العصر وما قبله يعتنون بذلك ، ولا يقو منهم فيه اغفال وان « العزفي » صاحب « سبتة » . هــو الذي سن ذلك في بلاد المغرب ـ تعظيماً للجناب الذي وجب له السمو والعلو ، على ان بعضهم قد خرج في ذلك الى حــد الاسراف والغلو (١) .

ثم يشير الى الاحتفالات النبوية قوله عن السلطان (ابي حمو) « انه كان يقيم ليلة الميلاد النبوي ، على صاحبه الصلاة والسلام ، بمشورة « تلمسان » المحروسة ، مدعاة حفيلة ، يحشر فيها الناس خاصة وعامـــة فما شئت من غارق مصفوفة ، وزرابي مبثوثة ، وبسط موشاة ، ووسائد بالذهب مغشاة ، وشمع كالاسطوانات وموائد كالهالات ، ومباخر صفـر منصوبة كالقباب ، يخالها المبصر من تبر مذاب . ويفاض على الجميع انواع الاطعمة ، كأنها ازهار الربيع الميمنة تشتهيها الانفس او تستلذها النواظر ، ويخالط حسن رياهـــا الارواح ويخامر رتب الناس فيها على مراتبهم ترتيب احتفال ، وقد علت الجميع أبهة الوقار والاجلال ، و بعقب ذلك يحتفل المسمعون بامداح المصطفى عليه الصلاة والسلام ـ ومكفرات ترغب في الاقلاع عن الآثام ، يخرجون فيها من فن الى فن ، ومن اسلوب الى اسلوب ، ويأتون من ذلك بما تطرب له النفوس ، وترتاح الى سماعـه القلوب . وبالقرب من السلطان رضوان الله عليه . خزانة « المنجانه » (٢) قــد زخرفت كأنها حلة يمانية ، لها أبواب مرتجة ، على عدد ساعات الليـل الزمانية ، فما مضت ساعة وقع النقر بقـدر حسابها ، وفتح عند ذلك باب من ابوابها ، وبرزت جارية صورت في احسن صورة ، في يدها اليمنى رقعـة مشتملة على نظم

(١) ازهار الرياض ـ المقري ج ١ ـ ٢٤٣ ـ ونفح الطيب ج ٩ ص ٢١٥

(٢) المنجانه ـ الساعة بلغة المغاربة . او آلة لرصد الوقت .

فيه تلك الساعة باسمها مسطورة . فتضعها بين يدي السلطان بلطافة ، ويسراها على عمها كالمؤدية بالمبايعة حق الخلافة ، هكذا حالهم الى انبلاج عمود الصباح ؛ ونداء المنادي حي الفلاح . . »

ويذكر صاحب النفح عن رواية « الدرر والعقيان » في هـذا المعنى ، وهـذه المناسبة بصورة أخرى تتشابه أحياناً في بدايتها ، وتختلف في وسطها ونهايتها . الى ان قال « على هـذا الاسلوب تمضي ليـلة مولد المصطفى ﷺ ، في جميع أيام دولته ، . . وما من ليلة مولد مرت في أيامه الا ونظم فيها قصيداً في مدح المصطفى « ص » أول ما يبتدىء المسمع في ذلك المحفل العظيم بانشاده ، ثم يتلوه انشاد من رفع الى مقامه العلي في تلك نظما » [١].

ومن شعراء هـذه الاحتفالات لدى السلطان « ابو حمو المغربي » الشاعر « يحي بن خلدون » كاتبه صاحب القصائد والمقطوعات والموشحات الرائعة في مدح الرسول «ص» وفي مدح السلطان الزياني .

أما مظاهر هذه الاحتفالات وخلاصة وصفها. فهي تسير على النحو التالي:

١ ـ قيام الحفلة في ليلة المولد الشريف

٢ ـ دعوة الناس خاصة وعامة

٣ ـ جلوس السلطان واعيان دولته حسب مراتبهم

٤ ـ تطواف الخدم والغلمان ـ بالبستهم الحريرية الزاهية على الضيوف بمرشات عطورهم ، ومباخرهم .

٥ ـ الساعة العجيبة وما فيها من تماثيل وغرائب

٦ ـ المنقبة النبوية ، والمدائح الشريفة من قبل منشد بارع جميل الصوت

٧ ـ صف الموائد اللذيذة الطعام في منتصف الليلة

٨ ـ بقاء السلطان في مجلسه حتى صلاة الصبح [٢]

---

(١) راجع النفح ـ وازهار الرياض ـ للمقري

(٢) خلاصة الرواية الثانية في النفح ، وازهار الرياض عن ليلة المولد النبوي الكريم .

و ـ بعض النماذج الشعرية والنثرية في الحضرة النبوية

زار الديار المقدسة عدة من علماء وشعراء وادباء المغرب والاندلس فوصفوا زيارتهم وعواطفهم، حينما زاروها . ومنهم من وصف عواطفه وشعوره عن بعد . وأشهرهم :

١ ـ المقري :ـ

ولقد زار قبر الرسول الاعظم، وتبرك بزيارته، ووصف المشاهد المقدسة المباركة الشيخ (احمد بن المقري التلمساني . المتوفى عام ١٠٤١ هـ . وهو الاديب المغربي الكبير، صاحب الفضل علينا اليوم بما خلفه لنا من مؤلفات قيمة تخص التراث الاندلسي واشهرها « نفح الطيب » و « أزهار الرياض » .

قال رحمه الله : بما يخص طيبة الرسول « ص » :

« ولما من الله تعالى علينا بالحلول في المشاهد التي قام الدين بها وظهر، والمعاهد التي بان فيها واشتهر، والمواطن التي هزم الله تعالى حزب الشيطان فيها وقهر، ونصرت النبوة وعضدت، وقطعت غصون الكفر وحصدت، ورصت قواعد التوحيد ونضدت، وقرت العيون، وقضيت الديون .

أنشد لسان الحال قول بعض من جيده بمحاسن طيبة حال :

يا من به طيبة طابت حلى وعلى ... ومن بتشريفه قد شرف العرب
يا احمد المصطفى قد جئت من بلد ... قاص ولي خلد قاس ولي أرب
وقد دهتني ذنوب قلت اذ عظمت ... لله منها وطه المرتجى الهرب

وقال من ابيات :

ايا ساكني اكناف طيبة كلكم ... الى القلب من اجل الحبيب حبيب (١)

(١) نفح الطيب ج ١ ـ ص ٥٤ وما بعدها .

وقال : —

اليك افر من زللي فرار الخائف الوجل
وكان فرار قبرك بالمدينة منتهى أملي
... فأنت دليل من عميت عليه مسالك السبل
.. وانك خير منبعث وانك خاتم الرسل
فيا ازكى الورى شرفاً وشا فيهم من العلل

وله من مخمسة : (١)

يا أيها الحادي الذي من وسمه قصد الحبيب وان يلم برسمه
هذي منازله فزمزم بأسمه بأبي الذي لم تذو زهرة جسمه
لكنه غض الجمال نضير
لله شوق قد تجاوز حده اوفى على الصبر المشيد فهده
يا ناشق الكافور لا تتعده طوبى لمشتاق يعفر خده
في روضة الهادي اليه بشير

ومن مخمسة أخرى : (٢)

هذا الرؤوف بجاره ونزيله هذا سراج الله في تنزيله
هذا الذي لاريب في تفضيله هذا حبيب الله وابن خليله
هذا ابن باني البيت اول مسجد
.. هو صفوة العرب الألى أحسابهم أسيافهم قرنت بها اسبابهم
فهم لباب المجد وهو لبابهم من آل بيت لم تزل انسابهم
تنبي لهم عن طيب خاطر مولد
شرف النبوة قد رسا في أهلها وسما على الزهر العلا بمحلها
ساق السوابق للفخار برسلها نطق الكتاب كما علمت بفضلها

(١) نفح الطيب ج ١ — ص ٥٨ .
(٢) نفح الطيب ج ١ — ص ٥٩ .

وقضى به نص الحـديث المسنـد

لولا حقـوق عينت بمغـارب لمكثت عندك كي تتاح مآربي
ويـكون في الزرقاء عذب مشاربي حتى احـلى من ثراك ترائبي
وانـال دفنا في بقيـع الغرقد

ودع المدينة بابيات منها :

ليس بالعيش في البلاد انتفـاع اطيب العيش ما يكون بطيبه

٢ ـ : ابن حبيب .

ومما يذكر لعالم الاندلس المالـكي عبدالملك السلمي بن حبيب قوله :

لله در عصـابة صاحبتهـا نحو المدينة تقطـع الفلوات (١)
ومهامه قـد جبتهـا ومفـاوز ما زلت اذكرها بطول حياتي
حتى اتينـا قـبر محمـد خص الآله محمـداً بصـلات
خير البريـة والنـبي المصطفى هادي الورى لطرائق لنجـاة
لما وقفت بقـربه لسـلامه جادت دموعي وا كف العبرات
ورأيت حجرته وموضعه الذي قد كان يدعو فيه في الخلوات
مـع روضته قد قال فيها : انها مشتقة من روضـة الجنات (٢)
وبمنزل الانصار وسط قبـابهم بيت الهداية كاشف الغمرات
وبطيبة طابوا ونـالوا رحمة مغنى الكتاب ومحكم الآيات

٣ ـ ابن خلدون :

وهو ابو زكريا يحي بن خلدون اخو قاض القضـاة ولي الدين بن خلدون صاحب التاريخ . قال قصيدة رائعة بمناسبة المولد النبوي عام ٧٨٠ هـ واستطرد لمدح السلطان (ابي حمو) موسى صاحب تلمسان (٣) :

(١) نفح الطيب ج ١ ـ ٥٥ .
(٣) يشير الى مايروى عنه (ص) قوله « مابين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة » .
(٣) نفح الطيب ج ٩ ـ ٢١٢ .

.. سيد العالمين دنيا وأخرى اشرق الخلق في العلاء والسماح
آية المكرمات قطب المعالي مصطفى الله من قريش البطاح
صفوة الخلق ارفع الرسل قدرا وسراج الهدى وشمس الفلاح
من لميلاده بمكة ضاءت من قرى قيصر جميع الضواحي
وخبت نار فارس وتداعت من مشيد الايوان كل النواحي
. معجزات فتن المدارك وصفا وحسابا كالزهر او كالصباح

٤ ـ ابن جبير (١) :

الرحالة المعروف الذي زار بلاد المشرق وحج بيت الله الحرام، وتبرك بزيارة المدينة المنورة في ١٣ من ربيع الآخر سنة ٥٧٩ هـ.

احب النبي المصطفى وابن عمه عليا وسبطيه وفاطمة الزهرا
هم اهل بيت اذهب الرجس عنهم واطلعهم أفق الهدى انجما زهرا
موالاتهم فرض على كل مسلم وحبهم اسنى الذخائر للاخرى
وما انا للصحب الكرام بمبغض فاني ارى البغضاء في حقهم كفرا
هم جاهدوا في الله حق جهاده وهم نصروا دين الهدى بالظبا نصرا
عليهم سلام الله ما دام ذكرهم لدى الملأ الاعلى واكرم به ذكرا

وقال :

طال شوقي الى بقاع ثلاث لاتشد الرحال الا اليها
ان للنفس في سماء الاماني طائر لايحوم الا عليها
قص منه الجناح فهو مهيض كل يوم يرجوا الوقوع لديها

وقال :

.. جرى ذكر طيبه ما بيننا فلا قلب في الركب الا وطارا
حنيناً الى احمد المصطفى وشوقاً يهيج الضلوع استعارا

(١) رحلة بن جبير ص ٢٠ ط ـ ١٩٣٧ ونفح الطيب ج ٢٤٣٣.

وقفنا بروضة دار السلام — نعيد السلام عليها مرارا
ولولا مهابته في النفوس — لثمنا الثرى والتزمنا الجدارا
. . اليك اليك نبي الهدى — ركبت البحارا وجبت القفارا
وفارقت اهلي ولا منته — ورب كلام يجر اعتذارا
وكيف نمن على من به — نؤمل للسيئات اغتفارا
دعاني اليك هدى كامن — اثار من الشوق ما قد اثارا
فناديت لبيك داعي الهدى — وما كنت عنك اطيق اصطبارا (١)

٥ ـ ابن زمرك :

وهو من شعراء الاندلس ، ومن مشاهير ادبائها و كتابها في الدولة النصرية ، على عهد بني الاحمر . قال في ميلاد الرسول (ﷺ) من قصيدة عصماء :

... وبليلة الميلاد كم من رحمة — بشر الآله بها ومن نعماء
قد بشر الرسل الكرام ببعثه — وتقدم الكهان بالانباء
اكرم بها بشرى على قدم سرت — في الكون كالارواح في الاعضاء
امسى بها الاسلام يشرق نوره — والكفر اصبح فاحم الارجاء
هو آية الله التي أنوارها — تجلو ظلام الشك اي جلاء
والشمس لاتخفي مزية فضلها — الاعلى ذي المقلة العمياء
يا مصطفى والكون لم تعلق به — من بعد ايدي الخلق والانشاء
يامظهر الحق الجلي ومطلع — النور السني الساطع الاضواء
ياملجأ الخلق المشفع فيهم — يارحمة الاموات والاحياء

---

(١) رحلة ابن جبير ص ٦ ومابعدها ط ١٩٤٧ أخذ هذا من قوله (ص) لاتشد الرحال الى ثلاث مساجد : مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، وبيت المقدس .

ياآسي المرضى ومنتجع الرضا ومواسي الايتام والضعفاء (١)

ومن موشحة في ميلاد النبي (ﷺ) :

يامصطفى والخلق رهن العدم والكون لم يفتق كمام الوجود
مزية اعطيتهـا في القدم بها على كل نبي تسود
مولدك المرقوم لما نجم أنجز للامة وعد السعود
ناديت لو يسمح لي بالجواب شهر ربيع ياربيع القلوب
اطلعت للهدى بغير احتجاب شمساً ، ولكن مالها من غروب

٦ ـ ابن الجيان :

من فقهاء الاندلس ، وخطبائها ، وادبائها البارعين ابو عبدالله ابن الجيان ، من مدينة مرسية . له قصائد في مدح النبي العربي (ﷺ) ورسائل موجهة لاعتاب الحضرة النبوية .

قال من مخمسة رائعة :

الله زاد محمـداً تكريماً وحباه فضلا من لدنه عظيما
واختصه في المرسلين كريما ذا رأفة بالمؤمنين رحيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

دنت النجوم الزهر يوم ولادته ورأت حليمة آية لسيادته
وتحدثت سعد بذكر سعادته فشفاء لو نعم اليتيم يتيمـا
صلوا عليه وسلموا تسليما

٧ ـ لشاعر مغربي —

وهذه قصيدة (ميلادية) لشاعر مغربي كان يرددها المقري، في مجالسه ، وبين طلابه وتلاميذه . قال وهي من الشعر المخمس .

. . ياليلة رفعت باحمد حجبهـا لما دنا بعد التباعد قربها

---

(١) نفح الطيب ج ـ ١٠ ص ٤٠ وما بعدها .

وتطلعت للسعد فينا شهبها ضاءت لها شرق البلاد وغربها

وتألفت أرجاؤها تنعيما

اسدى اليك الدهر حسن صنيعه وحباك من غصن الحنى ببديعه

وافى هلال محمد بربيعه فاعتز امر الله عند طلوعه

وغدا دين الاله قويما

نظم الزمان بجيد عمرك دره فاشكر مآثره وواصل بره

وفاك بالسر المصون فسره واعرف لهذا الشهر حقا قدره

فلقد غدا بين الشهور كريما

ياصاح جاءت بالاماني أسعد واطل بالبشرى الكريمة مولد

هذا ربيع فيه انجز موعد شهر كريم جاء فيه محمد

صلوا عليه وسلموا تسليما (١)

وقد ألفت كتب متعددة في مدائح النبي محمد (ﷺ) ومولده وشمائله الكريمة، ومعجزاته، ورسالته فيها :

كتاب (منتهى السول، في مدح الرسول) للحسن بن عبد الرحمن بن غدرة الانصاري (٢).

وكتاب « نظم الدرر ـ في مدح سيد البشر » (٣) و « الورد العذب المعين ـ في مولد سيد الخلق اجمعين » لمؤلفهما. محمد بن ابي بكر العطار الجزائري (المغربي).

* * *

اما في ميادين النثر، فللاندلسيين والمغاربة الروائع النثرية في وصف

(١) نفح الطيب ج ١٠ ـ ص ٢٠٢.

(٢) نفح الطيب ج ١٠ ـ ص ٣٠٩.

(٣) نفح الطيب ج ١٠ ـ ص ٣٣٦.

شخصية الرسول، والتوسل بشفاعته. وهذا نموذج من رسالة بعث بها الكاتب الشاعر (ابن الجيان) وهو في الاندلس الى الحضرة النبوية. بعد ان منعته الحوادث والاحوال في بلده يومذاك عن زيارته (ﷺ). وكانت اغلب اشعاره، وخطبه، ورسائله موجهة في مدح النبي واله الطاهرين واصحابه المقربين.

قال صاحب النفح «ومن نثره رحمه الله تعالى رسالة كتب بها من (الاندلس الى سيد الكونين (ﷺ)، السلام العميم الكريم. والرحمة التي لاتبرح ولا تريم، والبركة التي أولها الصلاة وآخرها التسليم، على حضرة الرسالة العامة الدعوة والنبوة، المؤيدة بالعصمة والابد والقوة، ومثابة البر والتقوى، فهي لقلوب الطيبين صفا ومروة، مقام سيد العالمين طرا، وهاديهم عبدا وحرا، ومنقذهم من اشراك الهلاك وقد طالما الفوا العيش ضنكا والدهر مرا، ومقرا لانوار المحمدية، والبركات السرمدية، امتع الله تعالى الاسلام والمسلمين بحراسة اضوائها، وكلاءة ظلالها العلية وافيائها. واقر عين عبدها بلثم ثراها والانخراط في سلك من يراها») (١)

وللسان الدين ابن الخطيب، العالم، والشاعر، والكاتب، والسياسي، والفيلسوف الاندلسي، قصائد رائعة، وموشحات بديعة، ورسائل فريدة، كتبها عن لسان السلطان (ابن الاحمر) ابي الحجاج يوسف بن نصر قال:

«من عتيق شفاعته، وعبد طاعته، المعتصم بسببه، المؤمن بالله ثم به، المستشفى بذكره كلما تألم، المفتتح بالصلاة عليه كلما تكلم، الذي ان ذكر تمثل طلوعه بين اصحابه وآله، وان هب النسيم العاطرة وجد فيه طيب خلاله، وان سمع الآذان تذكر صوت بلاله، وان ذكر القرآن استشعر تردد جبريل بين

---

(١) نفح الطيب ج ١٠ – ٢٧٩.

معاهده وخلاله ، لاثم تربه ، ومؤمل قربه ، ورهين طاعته وحبه ، المتوسل به الى رضا الله ربه ، يوسف بن اسماعيل بن نصر (١) .

.. هذه يارسول الله وسيلة من بعدت داره ، وشط مزاره ، ولم يجعل بيده اختياره .. »

ولا ننسى للمرأة نصيبها من العلم والفضل والادب والشعر والرؤية والرواية ، سواء منهن دخلت الاندلس رواية للحديث النبوي الشريف امثال (عابدة المدنية) وهي جارية سوداء ، من رقيق المدينة ، قال بعض الحفاظ انها تروي عشرة آلاف حديث ، ولها رواية عن امام ادار الهجرة مالك ابن انس (رض) وغيره من علماء المدينة . ام ولد حبيب ابن الوليد المرواني المعروف (بدحون) (٢) و (نضار) بنت ابي حيان الاندلسية . التي حجت وسمعت بقراءة العلم البرزالي على بعض الشيوخ . وحدثت بشيء من رواياتها . وحضرت على الدمياطي ، واجازها من المغرب ابو جعفر بن الزبير . ولما توفيت عمل والدها فيها كتابا سماه « النضار في المسلاة عن نضار » (٣) .

* * *

ز ـ زوال الملامح الاسلامية ، بعد سقوط المدن الاسلامية

كان الدين الاسلامي رافعاً راياته في كافة انحاء الاندلس ، وقد مرت عليه انتصارات ونكسات . فمن انتصاراته معركة (الزلاقة) التي وقعت بين المرابطين بقيادة (يوسف بن تاشفين) وبين الاسبان وملكهم الفونسو . أما عن الضربات التي أصابتها — من اعدائه وخصومه فكثيرة متعددة منها

(١) نفح الطيب ج ٩ ـ ص ٦١ وما بعدها .
(٢) نفح الطيب ج ٤ ـ ١٣٦ .
(٣) نفح الطيب ج ٣ ـ ٣١٥ .

سقوط (طليطلة) (١) وهي بداية لنهاية . ووقعة (الارك) و (العقاب) بين الموحدين والاسبان . وآخر المطاف وفاجعة خروج العرب من (فردوسهم المفقود) و (غرناطتهم) الساحرة .

ان مأساة الاسلام في الاندلس كانت مأساة فادحة عظيمة للعرب اجمع ، أورد حوادثها ، وشرح تفصيلاتها ، المؤرخ التلمساني (المقري) رحمه الله . كما نشر المستشرق الالماني (ملر) مخطوطة مجهولة المؤلف عن نهاية العرب في تلك الديار اسمها : — « اخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر » (٢)

وان اول ما استرد (الافرنج) من مدن الاندلس العظيمة مدينة (طليطلة) من يد ابن ذي النون عام ٤٧٥ هـ . وفي ذلك يقول الشاعر الواعي (عبدالله بن فرج اليحصبي) المشهور بأبن النسال قوله : (٣)

حثوا رواحلكم يا اهل اندلس	فما المقام بها الا من الغلط
الثوب ينسل من اطرافه وأرى	ثوب الجزيرة منسولا من الوسط
من جاور الشر لا يأمن عواقبه	كيف الحياة مع الحيات في سفط

أما وصف تلك المآسي ، والحوادث الدامية فيحتاج لهـا صبر طويل ، وقلب صامد ، وطـرف لا يرف ، وروح ثابتة (٤) وفي حالة الاندلسين ، وخروجهم من بلادهم ، واستصراخهم بالمغاربة ، والمشارقة ورسلهم ورسائلهم وقصائدهم التي أرسلوها للدولة العثمانية — ولسلاطين المغرب — مايبعث الاسى ويؤلم القلوب ويدمي النواظم . فقد تصامت الآذان عنهم وتشابكت المصالح

(١) لتفصيل المعارك الاندلسية . راجع نفح الطيب للمقري والحلل السندسية للامير شكيب ارسلان . والروض المعطار للحميري . والمغرب لابن عذاري المراكشي .

(٢) نشرت هذه المخطوطة مرتان ، في المانيا عام ١٨٦٣ م ومرة في تطوان .

(٣) نفح الطيب ج ٦ — ص ٨٢ .

(٤) براجع عن [نهاية الاندلس] بهذا الاسم المؤلف القيم للاستاذ المؤرخ في الدراسات الاندلسية محمد عبدالله عنان ط ٢ — ١٩٥٨ من كتاب [دولة الاسلام في الاندلس] .

الرخيصة حول قضيتهم . وكان الشرق العربي يومذاك في حالة استبداد الملوك العثمانيين ، وفي صراعهم المستمر مع دول الغرب المتطلعة لامبراطوريتهم .

وخلف لنا الادب الاندلسي قصائد ومراثي عدة عن مآساته ومصيبته ، ولبداية طمس معالم الاسلام في دياره ، منها قصيدة (ابن الابار البلنسي القضاعي) انشدها في حضرة سلطان تونس « ابي زكريا يحي بن ابي حفص » عند سقوط بلنسه منها : (١)

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا ... ان السبيل الى منجاتها درسا
وهب لنا من عزيز لنصر ما التمست ... فلم يزل منك عز النصر ملتمسا
وحاش مما تعانيه حشاشتها ... فطالما ذاقت البلوى صباح مسا
يا للجزيرة اضحى أهلها جزرا ... للحادثات وامسى جدها تعسا
.. يا للمساجد عادت للعدى بيعا ... وللنداء غدا اثناءها جرسا
لهفي عليها الى استرجاع فائتها ... مدارسا للمثاني اصبحت درسا

وقصيدة اخرى موجهة لصاحب افريقية ابي زكريا عبدالواحد بن ابي حفص لشاعر مجهول (٢)

.. تلك الجزيرة لا بقاء لها اذا ... لم يضمن الفتح القريب بقاءها
حاشاك ان تفني حشاشتها وقد ... قصرت عليك نداءها ورجاءها
كيف السبيل الى احتلال معاهد ... شب الاعاجم دونها هيجاءها
بأبي مدارس كالطلول دوارس ... نسخت نواقيس الصليب نداءها

وقال شاعر آخر يندب « طليطلة » :

.. طليطلة اباح الكفر منها ... حماها ، ان ذا ذنبا كبير

---

(١) راجع الحلل السندسية للامير شكيب ارسلان ج ٣ - ص ٥٣٤ وراجع نفح الطيب ج ٦ - ٢٢٣ .

(٢) نفح الطيب ج ٦ - ٢٢٣ .

فليس مثالها ايوان كسرى ولا منهـا الخورنق والسـدير
. . الم تكن معقلا للدين صعبا فذلله كما شاء القـدير
وخرج اهلها منهـا جميعـا فصاروا حيث شاء بهم مصير
وكانت دار ايمان وعـلم معـالمها التي طمست تنير
. . مضى الاسلام فابك دما عليه فما ينفي الجوى الدمـع الغزير (١)

وهذه من روائع قصائد الشاعر الكاتب « ابي جعفر بن خاتمه » نظمها اثناء سقوط غرناطة عام ٩٠٤ هـ . قال فيها : (٢)

فوا حسرتا كم من مساجد حولت وكانت الى البيت الحرام سطورهـا
وواسفا كم من صوامع او حشت وقد كان معتاد الآذان يزورها
فمحرابها يشكو لمنبرها الجوى وآياتهـا تشكو الفراق وسورها
وكم طفلة حسناء فيها مصونة اذا اسفرت يسبي العقول سفورها
تميل كغصن البان مالت بها الصبا وقد زانها ديباجها وحريرها
فاضحت بايدي الكافرين رهينة وقد هتكت بالرغم منها ستورها

اما ابو البقاء « صالح الرندي » فرائعته من الروائـع الخالدة ، في جبين الرثاء للممالك الزائلة ، لما فيها من استعراض ، وصور ، ومأساة ، وحكم ، ودعوة للتآخي ، ومبادرة للنجدة . منها : (٣)

. . اعندكم نبأ من اهل اندلس فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم قتلى واسرى فما يهتز انسان
الا نفوس ابيات لهـا همم اما على الخير انصار واعـوان
يا من لذلة قوم بعـد عزهم احال حـالهم كفر وطغيان

(١) نفح الطيب ج ٦ ـ ٢٢٨ ومابعدها .
(٢) الحلل السندسية ج ٣ ـ ٥٤٨ .
(٣) الحلل السندسية ج ٣ ـ ٥٤٦ ونفح الطيب ج ٦ ص ـ ٢٣٢ وما بعدها .

فلو تراهم حيـــارى لا دليل لهم | عليهم من ثياب الذل الوان
ولو رأيت بكاهم عند بيعهم | لهالك الامـــر واستهوتك احزان
.. لمثل هذا يذوب القلب من كمد | ان كان في القلب اسلام وايمان

ومن فرائد ابياتها :

حيث المساجد قد صارت كنائس ما | فيهن الا نواقيس وصلبان
حتى المحاريب تبـكي وهي جامـدة | حتى المنابر ترثى وهي عيدان
تلك المصيبة أنست ما تقدمهـــا | وما لها مع طول الدهر نسيان

أما من حوادث التراث الفـكري الاندلسي ، الذي بيـدت أهم روائعه ، واحرقت مؤلفات علمائه ـ في سوح طليطلة ، وقرطبة ، وغرناطة ، وغيرها من مدن الاندلس . فيكفي ان نشير الى ان « الـكردينال خمنيس » مطران (طليطلة) ورأس الـكنيسة الاسبانية أباد ما يقدر بثمانين الف من المخطوطات الاسـلامية النادرة (١) . أما محاكم التفتيش المبيدة المرعبة ، وشخصية (الدون ديجوديسكا) المحقق العام فيها . وهو قاضي قضاة « ديوان المحاكم » ففي أعماله واعمال الـكردينال ، ما تزخر به ملفات هذه الجرائم الانسانية ، التي كانت تسيرهـــا البغضاء ، والخوف من عظمة الدين الاسلامي وشخصية رسوله (ﷺ) .

وقد أبادت محاكم التفتيش وشردت ونصرت مئات الالوف من سكان الاندلس ـ منهم من ظلوا تحت رعاية الاسبان ومنهم من تشردوا في مشارق الدنيا ومغاربها (٢) منذ سقوط غرناطة عام ١٤٩٢م الى ١٦٠٩م .

* * *

ان الاسلام الذي طويت راياته في تلك البلاد وتلاشت اصوات مآذن

---

(١) راجع نهاية الاندلس ـ محمد عبدالله عنان ـ ص ٣٠٠ الهامش .
(٢) راجع محاكم التفتيش ـ نهاية الاندلس ـ الكتاب الثالث ـ مراحل الاضطهاد والتنصير ـ ص ٢٩٢ وما بعدها .

مساجده وجوامعه منها . والعروبة التي اختفت لغتها ، ومدارسها وشمائلها منها . ظلت حتى اليوم سماتها ، وخصائصها ، وملامحها في المجتمع الاندلسي . ومن زار تلك الديار ، ونعم بمرآى قرطبة ، وغرناطة ، واشبيلية ، وبلينيه وطليطلة ، وقادس ، ومالقه ، وبلد الوليد ، ووادي الحجارة ، وسرقسطة ، والجزيرة الخضراء ، لوجد ان الروح الباقية هي من آثار العربية ، بما عندهم من صفات اجتماعية ، ومن وجوه بشرية ، ومن لغة وتقاليد عربية .

أما شخصية الرسول (ﷺ) وتعاليمه وقرآنه . فذلك ما نجده في مخطوطات القرآن الكريم الرائعة في مكاتب اسبانيا ، وما نجد ظلاله في المساجد التي تحولت الى كنائس ، بمظهرها الخارجي ، وألوانها الغريبة . ولو ازحت تلك المظاهر ودخلت اليها زائراً متجولا فاحصاً ، متأملا ، لعلمت ان آثار الاسلام وما شيده باقية خالدة . وتكفي زيارتك لمسجد قرطبة ، وحمراء غرناطة ، وقصور اشبيلية . وليس هذا مقتصر على أماكن الدين ومعابده ، بل هناك القصور الزاهية ، والحدائق الناظرة . والخطط الهندسية والحارات الرائعة ، والسواقي الجارية . ولاتنس المكاتب العامرة ، التي فيها الثروة الضخمة والغنى العظيم ، لعظمة الاندلس وتاريخها المجيد .

انها لفرصة ايها الرسول الكريم - التي اتاحها مولدك الزاهر - في ان تعاودنا الذكريات ، وتنفتح امامنا الصفحات ، لتاريخ أمة جئت هاديها وولدت منقذاً لحياتها ، وجاهدت مخلصاً لخلودها . عظمت رسالتك يانبي الله ، وشملتنا شفاعتك ياحبيب القلوب ، ويامهذب النفوس ومزيل العيوب .

المولد النبوي في الشعر المهجري

ابتسامة العذراء الحالمة ، في طيف من أطيافها الزاهر ! عندما ترى من أحبه قلبها ، وعطف عليه فؤادها ! واطمئنان المتعب الساغب ، في طريق سيره اللاحب ، وقتما يصل الى هدفه ، ويتوصل الى غايته . .

وسعادة الام الرؤوم ، حينما ترى عـودة ولدها الغائب ، وفلذة كبدها المبعد !

هذه الاطياف والاحلام ، هي التي تراود قلوب المحبين ، المقدرين ، المؤمنين ، لشخصية الرسول (ص) ومولده ليلة من ليالي شهر ربيع الاول . وتزداد أرواحهم بشرى بقرب ليلة المولد الشريف .

أما تلك العذراء التي وصفنا شوقها لرؤية حبيبها ، فهي الانسانية التي خصها الالم ، في عهد جاهليتها ، وفي دور طغيان رجالها .

وأما ذلك السائر المسافر ، الذي زاده الطريق تعباً ، ومضه الجوع نصباً ، فهو الانسان العربي في عهوده السابقة من تاريخه .

وأما الام التي انتظرت عودة ابنها ، وفلذة فؤادها فهي الجزيرة العربية ، في يوم شدتها ، وفي عصر هجوم أعدائها الحاقدين لقدسية بيتها ، والحاسدين لمكانة شعبها ، فجاءت شخصية الرسول المرشد (ص) فأنقذ امة وأسس دولة(١) .

ولما كانت مثل هذه الشخصية ، قد بدت في سماء العالم ، وأثرت في كيان سيره الاجتماعي والسياسي والاقتصادي . قامت هناك نفوس محبة ، مؤمنة تذود

---

(١) كنا قد كتبنا مقالا في مجلة ــ العرفان ــ الزاهرة سنة ١٩٤٥ بعنوان « النبي الذي أنقذ امة ــ وأسس دولة » .

عنه وعن شخصيته كما حملت معاول الهدم ، وريشت سهام النقد من قبل جموع مبغضة شائنة .

ذكر الفيلسوف المعروف « تولستوي » في حديثه عن النبي (ص) حيث قال :

« لا ريب ان هذا النبي من كبار المصلحين الذين خدموا المجتمع البشري خدمة جليلة ، ويكفيه فخراً انه هدى امة كبيرة الى نور الحق » .

كما وصفه الكاتب الانجليزي « ب . سميث » بقوله : كان محمد مؤسساً لامة ، وزعيماً لامبراطورية ، وبانياً لدين في وقت واحد . . »

وانت ترى ان شخصية الرسول (ص) واثر ولادته جمعت الطارف والتالد . . ولكن هل آثرت هذه الشخصية في نفوس الناس الجاحدين للحقائق ، والمتمسكين بالمظاهر . وهم اقرب الناس للاسلام ؟؟ أما جوابنا فهو كما قاله الاستاذ الناقد « العقاد » عندما اجاب بعد استجوابه :

« لو عاد السيد المسيح لانكره كثيرون ممن يعيشون باسمه ، وينتحلون هدايته .

ولو عاد محمد عليه السلام لكان له نصيب كذلك النصيب ، ممن يرفعون العقيرة بهداية الاسلام ، والاسلام بريء منهم »(٢) .

والمولد النبوي الشريف كحدث عظيم في تاريخ البشرية ، وفي سجل الانسانية ـ فمنهم من عاداه ومنهم من مجده ـ فاما الذين حزنوا لمولده ـ فهم الذين خافوا من مستقبل شخصيته ، ومن هدي رسالته ، ومن مصائر ما سيكون من انعدام مصالحهم ، والحد من طغيانهم وبطشهم ، والقضاء على خيالاتهم واساطيرهم .

---

(٢) راجع الهلال ج١ ـ مجلد ٦٣ ـ ١٩٥٥ ص ١٦

واما الذين فرحوا بمقدمـه ، وتهللوا بشرى لمولده . فهم الصابرون المجاهدون ضد الباطل ، والمدافعون عن الحق ، والذين ضربت عليهم جيوش الطغيان اسوارها ، وألهبت ظهورهم اسياط البغي والعدوان ، وسلبت أيادي القوة ثمرة تعالبهم ، واستنزفت دماء شرايينهم ، وأنضبت دموع مآقيهم ، وهدت أعصاب احساسهم ، وانتزعت من افواههم لقمة عيشهم ! !

* * *

واننا قبل ان نستعرض « الشعر المهجري » الذي ساهم في فرحـة المولد نـدرس الظواهر في نفسية الشـاعر المهجري وشـعره في مثل هـذه المناسبات ـ واهمها : ـ

١ ـ ان الشاعر المهجري الذي ترك وراءه مطلع الشمس وسار الى ديار الغرب، يحمل في نفسه روحانية البلاد الشرقية . ومثلها العليا ، وتبقى في قرارة ذاته بقايا من جوانب الخير مهما اختلفت بيئات مجتمعه ، وازدادت قسوة ايامه عليه ، يحن دائماً الى الفضائل ، والتسامح النفسي وتلمس السذاجة الطيبة في طبعه . وهذا ما قاله الشاعر الكبير « الياس فرحات » في احدى قطعه : ـ(٣)

فيما التقاطع والأوطان تجمعنا ... قم نغسل القلب مما فيه من وطر
ما دمت محترما حقي فانت اخي ... آمنت بالله أم آمنت بالحجر ! !

٢ ـ تأثر الشاعر المهجري بقسوة الغربة ، وصعوبة المحيط الجـديد ، وعادات المجتمع الغربي ، وصفاته المادية مما جعلت نفسية المهاجر متقاربة مع اخيه ـ مهما اختلف عنه دينا وتنـوع طائفة وهم تجاه من يحسدهم على نجاحهم ويعاديهم لمصالحهم ، ويتضايق من مزاحمتهم ، يؤلفون وحدة متضامنة متراصة كلها دعوة للعمل والسعي والحث السريع نحو الخير والنجاح والرقي . وهـذا ما قاله الشاعر المرحوم « نسيب عريضة » : ـ

(٣) راجع رباعيات فرحات ـ طبعة البرازيل

يا أخي يا اخي ! ! المصاعب شتى | وبعيـد مرادنا والموارد
وأمام العيون درب عسير | لم تسر قبلنا عليـه الاوابد
. . يا أخي يا رفيق عزمي وضعفي | سر نكابد ان الشجاع المكابد
فاذا ما عييت تسند ضعفي | وأنا بعد ذا لضعفك ساند (٤)

٣ـ وجود الحرية الدينية التي نعم بها المهاجرون ـ في البلاد التي استوطنوها بعد وطنهم الشرق العربي ، الذي كانت تدميه النزعات الطائفية ، وتؤخره الغايات الاستعمارية . وما تمر مناسبة عند المسلمين او المسيحيين الا ونجد صداها الطيب في احتفالات المهاجرين . وهذا الشاعر الكبير رشيد سليم الخوري « الشاعر القروي » ينشد في حفلة « عيد الفطر » في الجمعية الخيرية الاسلامية « بسان باولو ـ البرازيل » قائلا : ـ

. . . أكرم هذا العيد تكريم شاعر | يتيـه بآيات النبي المعظـم
ولـكنني اصبو الى عيـد أمـة | محررة الاعناق من رق اعجمي
الى علم من نسج عيسى واحمـد | و « آمنة » في ظله اخت « مريم »
هبوني عيداً يجعل العرب أمـة | وسيروا بجثماني على دين برهم ! !
فقد مزقت هذي المذاهب شملنـا | وقد حطمتنا بين ناب ومنسم
سـلام على كفر يوحـد بيننـا | واهلا وسهلا بعـده بجنهم (٥)

٤ـ محبة الشاعر المهجرى ، وتجاوبه لحوادث ابناء العروبة في الشرق وتأثره الحسي والعاطفي ، لما يحدث في هـذه الاوساط ، من احداث سياسية ، واجتماعية ، فهو يتجاوب بعواطفه السامية ، مع اخوته في كل ما يصيبهم من خير ، وما ينالهم من شـر ، ودواوين المهاجرين تعج بهذه الانطباعات الصادقة

(٤) الشعر العربي في المهجر ـ محمد عبدالغني حسن ص ١٥٢ ط ١٩٥٥
(٥) ديوان القروي ـ سان باولو ـ البرازيل ١٩٥٢ ص ٣١٤

النبيلة منها ما قاله الشاعر المعروف « الياس فرحات » من قصيدته « الى شباب العراق » سنة ١٩٥٤ يحثهم على الثورة ضد حكم الطغاة المستبدين ـ قبل ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ حيث قال : (٦)

. . . أين يا ليل المصابيح الهداة
أين أحرار الفراتين الاباة
انما تذهب هذه الظلمات
يوم تزهو بالا كف الشفرات
هل ترى الاحرار في بغداد ماتوا ؟!

. . . .

يا أباة الضيم في دار الرشيد
دونكم صوت محب من بعيد
ما مشيتم في ركاب ابن السعيد
وركاب ابن حسين والحفيد
ستظلون عبيداً للعبيد !!

وتبدو عواطف « شعراء المهجر » النبيلة الهدف ، المتساميه الفكرة ، الواضحة السبيل ، في قصائدهم ، التي نظموها بمناسبة « المولد الشريف » . وهذه نور من تلك الشعلات المتوقدة حباً ، والمشعة فكرة ، والمتسامية غرضاً ، نقبسها من شعر مهاجرى الامريكية الجنوبية في البرازيل واولهم ما قاله « الشاعر القروى » وقصيدته « عيد البرية » : ـ (٧)

عيد البرية عيد المولد النبوى   في المشرقين له والمغربين دوي

---

(٦) ديوان « الخريف » الياس فرحات ط ـ البرازيل ـ سان باولو ـ ١٩٥٤
(٧) ديوان الشاعر القروي ط ١٩٥٢ ص ٢٢٥

عيد النبي بن عبدالله من طلعت — شمس الهداية من قرآنه العلوي
بدا من القفر نوراً للورى وهدى — يا للتمدن عم الكون من بدوي
ياصاحب السيف لم تفلل مضاربه — اليوم يقطر ذلا سيفك الدموي
يا فاتح الارض ميداناً لقوته — صارت بلادك ميداناً لكل قوي
يا حبذا عهد بغداد واندلس — عهد بروحي أفدى عوده وذوي
من كان في ريبة من ضخم دولته — فليتل مافي تواريخ الشعوب روي
يا قوم هذا مسيحي يذكركم — لاينهض الشرق الا حبنا الاخوي
فان ذكرتم رسول الله تكرمة — فبلغوه سلام الشاعر القروي

أما زميله الشاعر الكبير الياس فرحات فقد أنشد في (سان باولو) بهذه الذكرى قصيدة « يارسول الله » (٨) .

غمر الارض بانوار النبوة — كوكب لم تدرك الشمس علوه
لم يكد يلمع حتى اصبحت — ترقب الدنيا ومن فيها دنوه
بينما الكون ظلام دامس — فتحت في مكة للنور كوه
وطما الاسلام بحرا زاخرا — باواذي المعالي والفتوه
من رأى الاعراب في وثبتهم — عرف البحر ولم يجهل طموه
ان في الاسلام للعرب علا — ان في الاسلام للناس اخوة
فادرس الاسلام يا جاهله — تلق بطش الله فيه وحنوه !
يا رسول الله انا أمة — زجها التضليل في أعمق هوه
ذلك الجهل الذي حاربته — لم يزل يظهر للشرق عتوه
قل لاتباعك صلوا وادرسوا — انما الدين هدى والعلم قوه !

---

(٨) ديوان [الصيف] الياس فرحات ـ البرازيل ١٩٥٤ ص ـ ٨٠ .

اما الشاعر الرقيق (رياض المعلوف) فقد انشد قصيدته « وحد الله » قال (٩) : ـ

وحد الله !! فالمؤذن وحد ... وبذكر النبي في العيد انشد
يارسول الانام أنت وعيسى ... خير من يصطفى ويرجى ويقصد
ايه بغداد والمآذن تشدو ... ودمشق فيها الصلاة تردد
وفلسطين والعراق ومصر ... شرقنا كله بعيدك عيد
اينما سرت ركع لصلاة ... ودعاء ، كأنما الشرق مسجد
عيدك اليوم غبطة وابتهاج ... لجميع الاعراب والله يشهد
ايه قرآنك الكريم كتاب ... رائع كله ، ودر منضد
عبر كله وقول كريم ... كلما طال عمره يتجدد
وكفى العرب فخرهم بذي ... عبقري هو النبي محمد !!

اما شعراء اميركا الشمالية فقد جالت ارواحهم الشعرية في ميادين اخرى من المواضيع ـ ولكنهم لم ينسوا شخصية الرسول العظيم (ﷺ) في طيات قصائدهم نظراً لاختلاف المحيط الاجتماعي والمادي بينهم وبين اخوانهم ابناء المهاجر في الجنوب .

اما من شعرائهم الذين ذكروا الرسول (ﷺ) فمنهم الشاعر (رشيد ايوب) والشاعر (محبوب الخوري الشرتوني) وهذه زهرات من شعر الاول (رشيد ايوب) ومن قصيدته (لعل غدي) :

دموع بعيني لم تجمد ... ونار بقلبي لم تخمد
فيا دمع هل انت من لجة ... ويانار هل انت من موقد ؟

---

(٩) هذا ولا ننسي قصائد الشاعر الملهم [ابو الفضل الوليد] في الرسول الاعظم [ص] والامة العربية . والذي سنفرد له دراسة خاصة به .

أصلي لموسى ، وأعبد عيسى وأتلو السلام على احمد
طلبت معينا على الحادثات فمر الزمان ولم أهتد

ومن قصيدة له :

فمن ياترى أعلى الورى كمحمد وارفعهم مجدا ، واسمى مناقبا

اما الشاعر « الشرتوني » فيقول من قصيدته (الغنى والفقر)

ليس الذليل هو الفقير بماله ان الفقير بعقله لذليل
الشوك محتقر وفيه خضارة والورد محترم وفيه ذبول
هبط المسيح من السماء وما له الا مغارة « بيت لحم » مقيل
وأتى الحياة محمد لا أمه بنت الامير ، ولا ابوه نبيل

وله من قصيدة (قالوا تحب العرب) :

قالوا تحب العرب ؟ قلت احبهم يقضي الجوار علي والارحام
قالوا : لقد بخلوا عليك ، اجبتهم أهلي وان بخلوا علي كرام
قالوا : الديانة ، قلت جيل زائل ويزول معه حزازة وخصام
ومحمد بطل البرية كلها هو للاعارب اجمعين امام
قالوا البداوة ، قلت أطهر عنصر صفت النفوس هناك والاجسام
الاريحية والشهامة والندى في الارض حيث ايانق وخيام(٩)

أيها الرسول الاعظم ؛ !

هذه نفحات عطرت أرواحنا من شعر الادب المهجري وهي من نفوس آمنت بعظمتك ، ومن قلوب شعرت بمودتك ، ومن اقلام سجلت بمدادها سر شخصيتك . التي تصارعت في عظمتها الآراء . وتاهت في ودها النفوس والاهواء

(٩) الشعر العربي في المهجر — ص ١٩٢

فمنها من استرشدت ورشدت . ومنها من تاهت وضلت . ومنها من لامسها روح من ريحان رياضك . ومنها ما شع عليها قبس من شعاع ضيائك ! !

اما الذين تاهوا وضلوا عن هديك ورسالتك وتعاليمك الانسانية . فاعماهم التعصب . وامات ارواحهم الشـر والذهـول . فأولئك لم تلمس شغاف افئدتهم وبصائرهم انوار الهداية ـ ولم تهتز عواطفهم بفرحة المولد السامي . وقدسية الرسالة العظمى وصاحبها الخالد ! ! .

في رياض الأندلس

هي باقة ملونة الاشكال ، معطرة الازاهير ، يفوح شذاها كلما اعادت الذكريات العذاب أيام الأندلس ، ومجد العرب التالد في تلك البلاد .

تضم هذه الدراسة في كل جزء منها :

١ ـ دراسة حياة شاعر أو أديب أو كاتب أو فقيه أو عالم أو مؤرخ أو رحالة أو طبيب أو موسيقي . من الأندلسيين .

٢ ـ تحقيق ونشر ما يتعلق بالأندلس وتراثها العلمي والأدبي اسواء عن طريق نشر المخطوطات او جمع شتات عبقرية ابنائها من العلماء والادباء والشعراء .

٣ ـ دراسة حياة وآثار المستشرقين الأسبان أو غيرهم من المستعربين الذين اعتنوا بالآثار الأندلسية واحيوا ذكرى علومها وآدابها ومخطوطاتها .

٤ ـ دراسة من زار الأندلس من الرواد المشارقة ، والمغاربة قدامى ومحدثين .

٥ ـ دراسة من وصف الأندلس بشعره أو بنثره من قدامى المشارقة والمغاربة والأندلسيين .

٦ ـ دراسة وجمع المصادر الأندلسية المهمة قديمها وحديثها ا كان منها في المشرق أو المغرب أو الأندلس .

هذا الى جانب امور اخرى لها صلة وعلاقة بالثقافة الأندلسية خاصة ، والحياة الأسبانية عامة .

وفقنا الله تعالى ، عظمت قدرته ، وتعالى شأنه ، في تحقيق هذا المشروع واظهار نواته لمطالع النور والحياة العلمية .

الدكتور محسن جمال الدين
استاذ الأدب الأندلسي ـ كلية الآداب جامعة بغداد

المصادر والمراجع

١ ـ نفح الطيب ـ للمقري ـ ط ١ ـ ١٩٤٩ ـ مصر .
٢ ـ أزهار الرياض ـ للمقري ـ ط ١ ـ ١٩٣٩ ـ مصر .
٣ ـ البيان المغرب ـ لابن عذاري ـ ط ٢ ـ ١٩٥٠ ـ بيروت .
٤ ـ المعجب ـ للمراكشي ـ ط ١ ـ ١٩٤٩ ـ مصر .
٥ ـ الحلل السندسية ـ للامير شكيب ارسلان ـ ١٩٣٩ ـ مصر .
٦ ـ رحلة ابن جبير ـ لابن جبير ط ١٩٣٧ مصر .
٧ ـ فجر الاندلس ـ للدكتور مؤنس ـ ط ١ ـ ١٩٥٩ ـ مصر .
٨ ـ نهاية الاندلس ـ محمد عبدالله عنان ط ٢ ـ ١٩٥٨ ـ مصر .
٩ ـ الفكر الاندلسي ـ انخيل بلانشيا ـ ط ١ ـ ١٩٥٥ ـ مصر .
١٠ ـ الأسلام في اسبانيا ـ لطفي عبدالبديع ١٩٥٨ ـ مصر .
١١ ـ الكاتب المصري ـ لطه حسين ـ ١٩٤٦ ـ مصر .
١٢ ـ الاسلام ونهضة الاندلس ـ احمد مظهر العظمة ط ١ ـ ١٩٥٩ ـ مصر .
١٣ ـ حياة محمد ـ واشنطن ارفنج ط ١ ـ ١٩٦٠ ـ مصر .
١٤ ـ الديباج المذهب ـ لابن فرحون ـ ط ١ ـ ١٣٥١ ـ مصر .
١٥ ـ حركات الفتح الاسلامي للدكتور شكري فيصل ـ ط ١ ـ ١٩٥٢ ـ مصر .
١٦ ـ فتوح البلدان ـ للبلاذري ـ ط ١ ـ ١٩٠١ ـ مصر .
١٧ ـ الاعلام ـ للزركلي ـ ط ٢ ـ ١٩٥٩ ـ مصر .
١٨ ـ الرسالة المستطرفة ـ للكتاني ـ لسنة ١٩٦٠ الهند .
١٩ ـ وفيات الايمان ج/ ٣ ط ١ سنة ١٩٤٨ .
٢٠ ـ اعلام العرب الملحقة (٣٢) للاستاذ عبدالقادر احمد طليمات سنة ٩٦٤ ـ مصر .
٢١ ـ الشعر العربي في المهجر ـ محمد عبدالغني حسن ط ـ ٩٥٥ القاهرة .
٢٢ ـ ديوان القروي ـ البرازيل ١٩٥٢ .
٢٣ ـ دواوين الياس فرحات البرازيل ١٩٥٤ .
٢٤ ـ الهلال ج ١ ـ مجلد ٦٣ ـ سنة ١٩٥٥ .

IN ANDLUSIA'S GARDENS

— I —

The Celeberation of the *Prophet's Birthdays* In Andalusia, North Africa *And Emigrants' Verse.*

BY

DR. M. JAMAL AL-DIN

College Of Arts

University Of Baghdad

1967

Basri's Paess Baghdad